نقد النقد واثره في الدراسات الحديثية

أحمد صلاح حسين ياسر
وزارة التربية
Ahmed85656salah@gmailcom

الملخص:

لقد التفت العلماء ومنذ القدم الى عملية نقد الحديث ، اذ لم يغفلوا عن هذه العملية المهمة وقد قعدوا القواعد ووضعوا الاسس لها حتى لا يضع كل من هب ودب الاحاديث على لسان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فكانت هذه الاحاديث الشريفة تدخل في ميزان النقد فيخرج منها الغث والسمين ، فكانت هذه القواعد والاسس عبارة عن قوانين تمنع دخول الشاذ من الحديث وقد التزم العلماء بها وتلقتها الامة بالقبول ، ثم لم يكتفوا بعملية النقد فقط بل تعدوها الى مرحلة نقد النقد ، وهي عبارة عن نقد لآراء العلماء في عملية النقد والنظر الى تلك القواعد الموضوعة من قبلهم فقد يكون هناك راي ارجح من تلك الآراء فالعقول متفاوتة والكمال لله تعالى فنشأت قواعد واسس اخرى وما ذلك الا لاهتمام العلماء والامة باحاديث النبي (صلى الله عليه واله) وصيانتها عن التحريف والتلاعب من قبل المغرضين ومن الذين لا يريدون بالدين خيرا.

الكلمات المفتاحية: (نقد النقد، الدراسات الحديثية).

Criticism and its impact on modern studies

Ahmed Salah Hussein Yasser

Ministry of Education

Ahmed85656salah@gmailcom

Abstract:

Since ancient times, scholars have paid attention to the process of criticizing hadiths, as they did not neglect this important process. They laid down the rules and laid the foundations for it so that everyone who came and went would not put the hadiths on the tongue of the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace). These noble hadiths were included in the scale of criticism and came out. Among them are the weak and the fat. These rules and foundations were laws that prevented the entry of the abnormal from the hadith, and the scholars adhered to them and the nation received them with acceptance. Then they were not satisfied with the process of criticism only, but rather they went beyond it to the stage of

criticizing criticism, which is a criticism of the opinions of scholars in the process of criticism and looking at those rules. Established by them, there may be an opinion that is more preferable than those opinions, as minds vary, and perfection belongs to God Almighty, so other rules and foundations arose, and this is only due to the attention of scholars and the nation to the hadiths of the Prophet (may God's prayers and peace be upon him and his family) and to protect them from distortion and manipulation by those who are biased and those who do not want good for religion.
Keywords: (criticism, modern studies).

المبحث الاول : تعريف النقد ونقد النقد وخصائص النقد

المطلب الاول : تعريف النقد لغة واصطلاحا

اولا: تعريف النقد لغة : قال ابن فارس (ن ، ق ، د) اصل واحد صحيح يدل على ابراز الشي وبروزه ، وهو التميز بين الجيد والرديء ، نقد الدراهم والدنانير نقدا وانتقادا : ميز جيدها من رديئها

ثانيا : تعريف النقد اصطلاحا : تمييز الاحاديث الصحية من السقيمة ، من خلال دراسة السند والمتن واصدار الحكم على الحديث بالقبول او الرد

يتبين لنا من خلل التعريفيين اللغوي والاصطلاحي ان عملية النقد هي عبارة عن تميز وابراز الجيد من الرديء ويكون ذلك من خلال بعض الضوابط التي وضعها العلماء لذلك ، ونخلص الى ان نقد الحديث هو عبارة عن تمييز صحيحه من سقيمه من خلال علم الجرح والتعديل او من خلال علم العلل وغيرها من العلوم التي وضعها علماء الحديث لذلك

المطلب الثاني : تعريف نقد النقد وخصائصه

اولا : تعريف نقد النقد

بعد ان عرفنا النقد لغة واصطلاحا وان نقد الحديث هو تمييز صحيحه من سقيمه بمجمعة من الضوابط الخاصة التي نصها العلماء يمكن تعريف نقد النقد بانه :

قول اخر في النقد من خلال النظر الى قول الناقد والكشف عن ادلته التي ساقها في نقده لحديث او قول ما[١]

وهو اعمال قواعد النقد نفسها التي انتقدت النصوص وتسليطها على الاقوال الناقدة ، للكشف عن مطابقتها للواقع من عدمها[٢]

ثانيا : خصائص النقد

اتسم النقد الموجه الى كتب الحديث بمجموعة من المميزات التي من خلالها يمكن الحفاظ على السنة النبوية لاسيما ان كان هذا النقد بناء ، يمكن من خلالها رد الشبهات والطعون الموجه الى كتب الحديث ، بالإضافة الى تنقية كتب الحديث نفسها مما اصابها من التحريف وادخال فيها ما ليس منها لاسيما الاسرائيليات وما تم وضعه على يد الزنادقة واليهود ٠

المطلب الثالث :النقد التجديدي ومستوياته

بعد بيان تعريف النقد ونقد النقد برز بعض التنويريين او ما يسمون بالحداثيين او اصحاب القراءات الحداثوية للنصوص ، وثوروا مصطلحا يريدون من خلاله ادخال السم بالعسل ويربطون بعض انتقاداتهم للنصوصوص الدينية بداعي الحداثة والتجديد وان هذه النصوص تصلح لازمان معينة دون غيرها ، وبما ان التجديد يشمل اغلب مفاصل الحياة لابد له من ان يشمل النص الديني من القران الكريم والسنة النبوية ، وبلا شك ان هذا المنهج هو ليس وليد الساعة وانما هو من رواسب الغرب ومافعلوه تجاه كتبهم المقدسة من التوراة والانجيل نتيجة الاضطهادات التي كانت تلقيها عليهم الكنيسة ، ولذلك سنبين ما لمقصود بالنقد التجديدي وما هي اهم مستوياته

اولا: النقد التجديدي هو: النقد الذي يوجهه بعض المعاصرين لأحاديث صحيحة على قانون علوم الحديث التقليدي، خاصة أحاديث البخاري ومسلم، في إطار مطالبة بمراجعة شاملة لتراث الإسلام. وهو نقد، على خلاف النقد السلفي، يتسم بأنه:[٣]

١- **نقد نظري:** يطال النقد التجديدي الأسس النظرية لعلوم الحديث، بل إنه يطالب بمراجعة مفهوم السنة نفسه، ويتبنى أسسا متغايرة من أبرزها:

أ- نفي القول بعدالة الصحابة قاطبة، حيث يطالب النقد بالتعامل مع الصحابة باعتبارهم رواة كسائر رواة السند، يتفاوتون في الأمانة كما في الضبط. فيبرز لذلك نقد الصحابي المكثر من الرواية أبي هريرة كما نرى في كتاب "أبو هريرة شيخ المضيرة" لمحمود أبورية، و"أكثر أبو هريرة" لمصطفى بوهندي.

ب- يطالب النقد التجديدي باستخدام أدوات النقد التاريخي، أي اعتبار الظروف السياسية والفكرية لرواة الحديث قبل الحكم عليه بناء على موقف أصلي منهم باعتبارهم ثقات أو حفاظ.[٤]

٢- **نقد فكري:** يرى النقاد التجديديون أن السنة قد لحقها تضخم، فزاد حجمها لأسباب تاريخية وأصولية استدعت من العلماء التوسع في تدوينها وطلبها دون تمحيص كاف لأنه تم بأدوات ناقصة تعرضت هي نفسها لضغوط الظرف السياسي والفكري. إضافة إلى رفع تلك المرويات المجموعة إلى منزلة القرآن

٣- **نقد المتون:** يرى النقاد التجديديون كذلك أن الموقف السلفي النظري بأن متن الحديث يرد إذا عارض القرآن أو العقل الصريح فإنه يرد بذلك، لم يفعل بل وضرب حول تفعيله حصار سلطوي، باعتبار من يطبقه مبتدعا أو نحو ذلك.

ثانيا: مستويات النقد التجديدي:

يتراوح النقد التجديدي للسنة بين مستويات ثلاثة:

المستوى الأول: هو موقف المفكرين التحديثيين الذين درسوا العلوم الإنسانية الغربية الحديثة وتأثروا بقيمها وأدواتها؛ فهم ينظرون إلى التراث باعتباره منتجا إنسانيا ينبغي إخضاعه لتلك العلوم. ويعتبر المفكر المغربي محمد عابد الجابري أبرز ممثلي ذلك الاتجاه. ولا يزال هذا الموقف حبيس التأسيس النظري الذي لا يقدم على المستوى التفصيلي سوى ملاحظات علمية متفرقة دون تقديم دراسات تطبيقية شاملة إلا في حالات قليلة، كمحاولة الجابري كتابة تفسير جديد للقرآن. وهو الموقف الذي يمتد إلى جذور خطاب النهضة العربية عند الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا اللذين وجها نقدهما إلى بعض أحاديث البخاري خلال تفسيرهما الشهير "تفسير المنار" ومن بين الأعمال البارزة عن السنة في هذا المستوى: كتاب "الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية" لنصر حامد أبو زيد، وكتاب جورج طرابيشي "من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث"، وكتاب "السلطة في الإسلام" لعبد الجواد ياسين[٥]

المستوى الثاني: هو محاولة بعض الباحثين المختصين في العلوم الدينية أو المهتمين بها تجديد النظر في علوم الحديث باتخاذ مواقف جريئة، نذكر من أبرز تلك المحاولات

١- محاولة الشيخ الأزهري محمود أبورية في كتابه "أضواء على السنة النبوية" والتي أثنى عليها الدكتور طه حسين والتي ووجهت بنقد شديد من الشيخ محمد أبو شهبة في كتابه "دفاع عن السنة النبوية"[٦]

٢- محاولة الشيخ محمد الغزالي التي أثارت ضجة كبيرة توازي ما له من المكانة الكبيرة وما يحوزه من ثقة المسلمين في انتمائه ونواياه الحسنة، من خلال كتابه "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث". وقد انتقد الكتاب الشيخ السعودي سلمان العودة في كتابه "حوار هادئ مع الشيخ الغزالي"[٧]

المستوى الثالث: وهو الهجوم الصحفي من خلال المنابر الإعلامية على الصحيحين أو نحو ذلك، ويمتاز هذا الخطاب بأنه خطاب عاطفي خالص تسيطر عليه الانحيازات السياسية والدوافع التسويقية في الإعلام المعاصر. ولذا فإنه يعتريه كثير من الابتذال. لكن هذا لا ينفي قيام البعض بمحاولة توصيل الأفكار إلى الجماهير بطريقة أفضل جذبت الأنظار إليه، منهم: السوري عدنان الرفاعي الذي قدم لمدة برنامجا تلفزيونيا عبر فضائية مصرية، والشيخ عدنان إبراهيم الخطيب والمحاضر الذي لفت الأنظار بشدة في الآونة الأخيرة اتسم النقد التجديدي بغلبة الخطاب العاطفي عليه، وهو خطاب لم يوازه جهد علمي موضوعي على نفس قدر رهاناته، فصار لا يختلف بذلك عن الموقف المناقض لها وهو تقديس التراث، إذ أن كليهما يعبر عن نزوع عاطفي لذات ما زومه تحت ضغوط الحضارة والسلطة المعرفية سواء للتراث أو للحضارة المتغلبة. لكننا في الوقت ذاته لا يمكن أن نعمم ذلك على كل تلك المحاولات، فلا يمكن إنكار جدية كثير منها ودوافعه الحسنة التي وإن اعتراها النقص العلمي فإنها تلتمس عذرها في كونها محاولات أولية لا تستحق التقريع فقط وإنما أيضا العناية والتقويم.

المطلب الثاني : (امثلة على نقد كتب الحديث)

اولا: النقد الموجه لكتاب الكافي [٨]

تعرضت كتب الحديث الشريف الى النقد بمستويات مختلفة فمنها ما كان بناء والاخر كان هداما عبارة عن شبهات اطلقت من قبل بعض المغرضين الذين تأثروا بالمستشرقين كثير وما احدثوه في كتبهم المقدسة انطلاقا من عبارة لا مقدس امامنا سوى العقل ، متناسين ما قام به رجال الحديث وعلماء المسلمين من النظر الثاقب الى كتبهم الروائية قبلهم ، لارتكازهم على هذه الكتب في حياتهم اليومية ، في احكامهم الشرعية ، في علاقاتهم الشرعية ، في سلمهم في حربهم ، هذه الكتب هي المصدر الثاني بعد القران الكريم والحفاظ عليها واجب اسلامي على كل فرد مسلم عموما وعلى العلماء خصوصا ، فهم لم ينتظروا غيرهم ليستخرج ما فيها من غث وسمين ، ولا يمكن لغير العالم بها ان يعرف صحيحها من سقيمها ، بل الابد من تخصص

بعرف ذلك ، فقعدوا القواعد ووضعوا الاصول وبينو الاحاديث الضعيفة من الصحيحة وبينوا العلل والاسباب في ذلك وفق قواعد وادلة علمية رصينة وهذا منهج سار عليه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) واهل بيته عليهم السلام وصحابته الكرام ومن امثلة ذلك :

١ - يروي عن الإمام الصادق ال حول ولادة علي اله داخل الكعبة. وضمن تلك الرواية نقرأ أنه بعد ولادة علي وعودة أمه إلى بيتها، عزم سيدنا محمد على الذهاب إلى بيت أبي طالب لرؤية الوليد الجديد، فذهب ولما دخل البيت: "دخل رسول الله فلما دخل اهتز له أمير المؤمنين ال وضحك في وجهه وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته! قال: ثم تنحنح بإذن الله تعالى وقال: بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون. إلى آخر الآيات. فقال رسول الله : قد أفلحوا بك وقرأ تمام الآيات إلى قوله: أولئك اماهم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون. فقال رسول الله : أنت والله أميرهم... الحديث" طبقاً لمفاد تلك الرواية فإن علياً الله بمجرد أن فتح عينيه على الدنيا وهو وليد رضيع تلا آيات من القرآن الكريم، فكان عالماً بآيات سورة «المؤمنون»! قبل عشر سنوات من نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه واله) ونزول القرآن عليه في غار حراء!! هذا مع أن القرآن الكريم ذاته يصرح بأنه لم يكن للنبي الأكرم [٩]، ولا لقومه، أي علم بالقرآن الكريم قبل نزوله، كما يقول سبحانه: ويلك من أنباء الغيب توجيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا

نقد النقد في هذه الرواية

نقول ان الناقد قد اغفل المعجزات المذكورة لأمير المؤمنين علي عليه السلام ، فاذا كان جدار الكعبة قد شق من اجل دخول والدته فيها فلماذا نستكثر ذلك في حقه

وكذلك وجود مؤيدات من القران في ذلك مثال الطفل الذي شهد ليوسف عليه السلام اذ كان طفلا رضيعا نطق بلسان واضح وصريح [١٠]

ثانيا: النقد الموجه للصحيح البخاري

نقد النقد ببيان منهج البخاري في اختصار الحديث

مما يستنبط من منهج البخاري ويستعمل في نقد النقد المتجه اليه:

منها الاختصار : فان البخاري قد يختصر الحديث الذي فيه اشكال ويستغني عن بقيته مما قد ساقه من قبل بطرق سليمة ويكون باختصار متنه مشيرا الى وجود علة فيه ومثال ذلك : قال مالك اخبرني زيد بن اسلم ، ان عطاء بن يسار اخبره ان ابا سعيد الخدري اخبره انه سمع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول : اذا اسلم العبد فحسن اسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها ، وكان بعد ذلك القصاص : الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها الا ان يتجاوز الله عنها[١١] .

اتفق الشراح على ان البخاري اسقط جملة من متن هذا الحدث وهي (وكتب له كل حسنة كانت زلفها) ، والتمسوا له المعاذير في حذفها ، ومن اكثرها ورودا عندهم كونها مخالفة للاصول في كون الكافر لا يصح منه العمل حال كفره وخالفهم اخرون [١٢] ، وهي ايضا احدى الشبه التي تطلق على البخاري من كونه يعلق الاحاديث او يقطعها وقد رد العلماء على ذلك ،

نقد النقد نص الدار قطني على وجود هذا المنهج في الاعلال عند البخاري فقال في حديث زاد ابن عون فيه زيادة وهذا الكلام وهم من ابن عون فيما يقال وانما رواه ابن سيرين عن انس وقد اخرج البخاري حديث ابن عون فلم يخرج هذا الكلام فيه فقطعه ولعله صح عنده انه وهم ، ومسلم اتى به الى اخره وقد يسمى حذفا او اختصارا[١٣]

الخاتمة

١- لقد ظهر النقد للحديث النبوي سندا ومتنا منذ زمن بعيد ، اذ يرجع النقد الى زمن النبي محمد (صلى الله عليه واله) فمن خلال تصحيحه لبعض المفاهيم عند الصحابة في ذلك الوقت .

٢- لم يكن نقد الحديث عند العلماء جزافا بل كان يعتمد على مجموعة من المباني والاصول ، اذ كان العلماء حذرين كل الحذر في التعامل مع السنة النبوية وخصوصا اذا علمنا انها تمثل المصدر الثاني بعد القران الكريم ، فكان التشدد واجبا في ذلك ٠

٣- اتخذ النقد مساران ، كان الاول نقدا بناء يهدف الى تصفية السنة النبوية من الشوائب ، واخراج الاحاديث الدخيلة والاسرائيليات ، واما النقد الاخر فكان نقدا هداما الذي اتخذه بعض المستشرقين ، فكانت مطاعنهم واضحة والهدف منها ضرب السنة النبوية و تشكيك المسلمين بتراثهم ٠

٤- انبرى بعض المسلمين للتصدي للرد على مطاعن النقاد من خلال تبين ما وقعوا فيه من اخطاء ، اذ لم يفهموا الشروط التي وضعها العلماء لقبول ورفض الحديث فظهر ما يسمى بنقد النقد٠

٥- لا يمكن لأي شخص ان يجرئ على التدخل في كتب الحديث الشريف تصحيحا وتضعيفا ، لان ذلك من الخطر بمكان فيجب ان يكون الاختصاص حاضرا ولابد من توفر الشروط التي وضعها علما الجرح والتعديل في كل شخص يتصدى لذلك والا ضل وأضل

الهوامش:

[١] النقد التفسيري ، محمد اكيج :٣٤
[٢] نقد النقد وتنظير النقد العربي : ١١٧
[٣] الاحاديث المنتقدة في الصحيحين ، رائد احمد المعايطة :٥١
[٤] المصدر نفسه : ٥٣
[٥] ينظر: آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية، محمد رمضاني، مجلة البيان، ١٤٣٤هـ
[٦] منهج النقد عند المحدثين ، محمد مصطفى الاعظمي : ٣٥
[٧] المصدر نفسه : ٥٦
[٨] نقد كتب الحديث (الامامية) السيد مصطفى الحسيني :٦٧
[٩] صحيح الكافي ، محمد باقر البهبودي :٢٦
[١٠] ينظر : معالم المدرستين ، السيد مرتضى العسكري :٥٦
[١١] صحيح البخاري : ١/ ١٧ / رقم الحديث ٤١

[١٢] فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني : ١/ ٩٩-١٠٠
[١٣] التتبع ، للدار قطني : ٣٥٢ / رقم الحديث ٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

١- النقد التفسيري ، محمد اكيج
٢- منهج النقد عند المحدثين ، عمرو عبد المنعم سليم
٣- الاحاديث المنتقدة في الصحيحين ، رائد احمد المعايطة
٤- مجلة العلوم الاسلامية ، العدد ٤٣، ٦٧
٥- آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية، محمد رمضاني، مجلة البيان، ١٤٣٤هـ
٦- منهج النقد عند المحدثين ، محمد مصطفى الاعظمي
٧- نقد متن الحديث تاريخه ومقايسع ومناهج العلماء فيه ، شفيق ويغرا
٨- نقد كتب الحديث (الامامية) السيد مصطفى الحسيني :٦٧
٩- صحيح الكافي ، محمد باقر البهبودي ، ايران –قم ، ١٩٩٠
١٠- علي بن عمر ابو الحسن الدار قطني (ت٣٨٥هـ) ، التتبع ، تحقيق :مقبل بن هادي الوداعي ، ط٤ ، دار الاثار صنعاء ١٤٤٣٣هـ
١١- محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري (ت٢٥٦هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وسننه وايامه ، عناية : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط١ ،دار طوق النجاة ، بيروت ،١٤٢٢هـ
١٢- نقد النقد وتنظير النقد العربي ، محمد الدغمومي ، ط١ ،كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، ١٤٢٠هـ
١٣- فتح الباري ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار المعرفة –بيروت.